

## المرأة العربية.. بين مقدمة ابن خلدون و مؤخرة كيم كاردشيان



بداية فلتعذرني كيم كاردشيان على طفلي، و ليعذرني القارئ إن صح التعبير على وقاحتي، ولكنه غيظ أثقل كاهلي و أحتاج لنضحه. بعد أن بكت و تباكت المرأة لعقود على وضعها، فتحت لها الدنيا ذراعيها مرحبة، فلم تعرف ما العمل فبدأت تتخبط في عقر مرارة الواقع الذكوري البحت و التقاليد و العادات المحافظة التي تختفي تحت ابتسامات تشجيعية واهية . فوقفت حائرة لا تعرف ماذا تفعل بالبواب المفتوح أمامها، و الذراع المرحبة تارة و الباطشة تارة أخرى. لها الحق إذ في هذه الحيرة التي ننتقد عليها “ هذه هي حريتك، أريدني ما الذي ستفعلينه؟“.

بداية المرأة العربية وجدت نفسها على مقاعد الدراسة تلبية لسوق الزواج، لأن الرجل بات يريد أن يتباهى بثقافة زوجته بالإضافة إلى جمالها. أيضاً لتحمل بعض أعباء المنزل و تساعده في الدخل، فالحكومات العربية لا تكف عن صفع المواطن العربي على وجهه فتثقب جيبه، و كلما أراد أن يعترض أته صفة أخرى دشنت ثقباً آخر. عندما فتحت عينيها وجدت أمها تحثها على الخروج من الجامعة و في يدها رجل يزفها في حياته، لكن دون أن تخالط الرجال و تعبت “ بشرف“ العائلة ! لا أدري كيف من الممكن أن يحدث ذلك منطقياً. و لكن المرأة التي أقنعوها منذ نعومة أظافرهما أن البيت و السلام لها، و المعتزك الخارجي للرجل لأن راحتها “تهمهم“، أقنعوها أن التاريخ لا يسجل في سطورهم إلا الرجال! لقد كانت هذه حقيقة نعيشها عربياً، بالعودة إلى تاريخنا العربي النساء لا يشكل أكثر من 5% في كافة المجالات. هنا وجدت المرة نفسها تائهة، فأكاديمياً يحثها الجميع على التقدم في تحصيلها لأن معدلها مرتفع ثم تتهم بأنها اكتسحت سوق العمل و كانت سبب بطالة الرجال. أما في محيط العائلة تطاردها عيون الأقارب، لترتبط عريس الغفلة من عنقه و تجره إليها جراً، فتعيش حائرة و متخبطة دون وعي. كعادة الإنسان العربي الذي تفرض عليه سايكولوجيا عدم النقد و الإكتفاء بالتلقين، لا تفكر المرأة و تبقى عاجزة عن التفكير لأن التكفير هو مصيرها في نهاية المطاف.

بالعودة إلى كيم كاردشيان صاحبة أجمل مؤخرة و التي قامت بتأمينها ب5 ملايين دولار، نجد أن بنات “ زماننا المهمش“ تهافتن للحصول على قوام يشبه قوامها، و التبرج على النحو الذي يظهر وجهها متألقة. فتجد أنهن قد أنفقن ما يعادل ال100 مليون دولار على مستحضرات التجميل سنوياً و لا يكتفين، بينما يعجزن عن شراء مقدمة ابن خلدون ب5 دولارات يبقى إلى الأبد! بالخروج من المتاهة الإقتصادية و الإنفاق و بالعودة إلى الفكر. المرأة العربية تتخبط و تتدحرج ضائعة بين سؤالين لا تجد الجراً في طرحهما، الأول هو “هل أهتم بجمالي؟“ و الثاني “هل أهتم بثقافتي؟“. السؤال الأول في

منتهى الذكاء و السؤال الثاني في منتهى الغباء. و السبب واضح جداً، إن الإهتمام بالثقافة يبرز الأنثى و يزيد بها، و جمالها الخارجي من السهل أن تعتني به، كأن تقضي ست ساعات متواصلة في مركز التجميل، فتنافس بجمالها كيم كاردشيان، بينما كتلة الصدا التي يحملنها أغلبهم فوق الأعناق المترنحة لا تفتح في يوم و ليلة. و لكن عدم الجرأة على طرح هذين السؤالين أدى إلى أن تتفلت الأمور من بين يد الحسنات، فلا هي اهتمت بصورتها و لا عملت على بلورة مضمونها و بقيت على التلفاز طول اليوم تبكي في حضرة المسلسلات التركية، و تتراقص على نغمات بوليوود.

ما أقبح الصدف عندما تجلسك مع بشر يحركون فيك القاتل و المجرم. كنت جالسة مع مجموعة من الشابات و كن يتحدثن عن كيم كاردشيان و عن مقاس قدمها، و التعجب و المناقشة التي امتدت إلى ما يقارب الساعة خرجن منها بأهم إكتشاف وصلت إليه الإنسانية ألا و هو أن سبب حصول كيم على لقبها أن مقاس قدمها 38 و هذا يساعدها في الحصول على أي حذاء ترغب فيه، و الكعب العالي يساعد على إبراز المؤخرة فبذلك فازت و حققت إنجازاً تاريخياً عظيماً، و دخلت التاريخ من أوسع أبوابه. و إلى الآن أحاول أن أفهم هذا الرابط العجيب الذي بدا أن الجميع موافق عليه و راض. و بما أنني شخص كثير الإقتاد و التعليق إلا أنني استغربت من لسانی الذي تحجر أمام الحقائق، و ابتسمت فقط أوارى حيائي من هذه العقول.

سبب المقارنة الفعلية بين مؤخرة كيم و مقدمة ابن خلدون، أن معظم الإناث حالياً يعرفن من هو خطيب و حبيب كيم كاردشيان و لا يعرفن ما هو اسم ابن خلدون الأول و حتى ما هي مقدمة ابن خلدون و عن ماذا تحدث. يدرسن و بجد ملامح و تقسيمات جسد كيم و لا يعرفن ما المحتوى الذي بنيت على أساسه مقدمة ابن خلدون. و لما العجب، فالفجوة الفكرية نحن من صنعها و نحن الذين نأبى أن نظمرها إلا بالسخام. و بالحديث عن السخام الذي يأكل العقل العربي، فإن التغير يبدأ من أن تعرف المرأة عن قضاياها و تقرأ عن الحقوق التي لها و عليها. و عليها أيضاً أن لا تقرأ هذه الحقوق و تمر عليها مرور الكرام بل أن تنقدها و تفكر في كل الإحتمالات المترتبة عليها، فليست كل من صرخة في حق للمرأة كانت على صواب. الزوج يأتي، الجمال يأتي و لكن العقل لن يأتي من تلقاء نفسه و لا تخطه الأقدار على صفحات البشر.

جمال الأنثى أولوية و عقلها أيضاً، و لكن أن تكتفي بجمالها و تأخذ في تجميل نفسها وقتاً على حساب عقلها، فهذه كارثة عظيمة بأثر سلبي عميق. إن تياراً وقوراً يمر الآن على كثير من المبدعات الشابات، ولكن جمالهن التعبيري و الأدبي لا يتعدى قصص الحب المبتذلة معروفة البداية و معلوكة الحبكة و النهاية، تثير في النفس ضيقاً و حسرة هذه الأقلام التي تنزف هباءً. أين اللواتي يكتبن عن التاريخ، المقاومة، الأرض، العرق، السياسة و الأدبيولوجيات. لماذا تحصر المبدعة في الأدب شعراً كان أو قصة نفسها في جغرافيا الجسد و المشاعر التي تعاد و لا تنتهي على التلفاز و في المجالات. نحتاج إلى مبدعات أمثال سلمى الخضراء الجيوسي، رضوى عاشور و فدوى طوقان و غيرهن الكثير من الأسماء المجهولة اللواتي مزجن بأسلوب متفرد الحب مع الوطن و القضايا الساخنة مع السخرية اللاذعة. نحتاج لثورة فكرية، تبنى على أرضية متينة و مساحة واسعة من الحرية التي تعطى عن وعي و دراية. فمن السهل تعرية الجسد و تجريده من الملابس و الخروج إلى الشارع، و لكن من الصعب تجريد و تعرية العقل من الغبار و السخام الذي علق و تكاثر عليه.